

نفحات القرآن

[306] إَلاَّ أَنْ يَقُولُوا : اِ (فَسَيَقُولُونَ اِ) . ثُمَّ تَقُولُ الْآيَةُ خذْ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ مُسْتَمْسَكًا وَقُلْ : (أَفَلَا تَتَّقُونَ) . إِنَّ جَمِيعَ الْأَرْزَاقِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَتَدْبِيرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي الْحَقِيقَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، فَإِنَّ الْأَرْزَاقَ الْمَادِيَّةَ أَمْثَلًا تَكُونُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْأَرْزَاقَ الْمَعْنَوِيَّةَ عَادَةً تَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الْبَصَرِ وَالسَّمْعِ الَّذِينَ يَنْقَلِبُ الْعُلُومَ الْحَسِّيَّةَ وَالْعَقْلِيَّةَ وَالنَّقْلِيَّةَ إِلَى الْإِنْسَانِ ، وَتَدْبِيرِ الْعَالَمِ يَشْمَلُ هَذِهِ كُلُّهَا وَغَيْرَهَا ، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَّعِي أَنَّ الْعِبَادَ الضَّعَفَاءَ أَوْ الْمَوْجُودَاتِ الْحَقِيرَةَ كَالْأَصْنَامِ هِيَ الْخَالِقَةُ لِهَذِهِ الْأَرْزَاقِ وَالْمَدِيرَةُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ ؟ إِنَّ تَوْحِيدَ الرَّبُّوبِيَّةِ لَيْسَ قَضِيَّةً مَعْقَدَةً حَتَّى بِالنِّسْبَةِ لِعِبَادِ الْأَصْنَامِ فِيمَا لَوْ فَكَّرُوا قَلِيلًا . وَالتَّعْبِيرُ بِ (يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً إِلَى خَلْقِهَا أَوْ حِفْظِهَا نِظَامِهَا وَتَدْبِيرِهَا أَوْ هَذِهِ الْأُمُورِ كُلِّهَا . * * * تَتَحَصَّلُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ مِنْ مَجْمُوعِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَالْآيَاتِ الْمَشَابِهَةِ لَهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ وَوَاسِعَةٌ ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَعْرِفُ الْقَادِرَ الْمُتَعَالِ بِأَنََّّهُ هُوَ الْمَالِكُ وَالْمُرَبِّيُّ وَالْمُدِيرُ وَالْمَدِيرُ لِعَالَمِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَكُلِّ شَيْءٍ ، وَكُلِّ مَوْجُودٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْبَشَرِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَالْمَاضِي ، وَنَقُولُ بِصَرَاحَةٍ لَا رُبَّ لِعَالَمِ الْوُجُودِ غَيْرِهِ . إِيضَاحَاتٌ 1 - التَّوْحِيدُ يَعْنِي حَذْفُ الْوَسَائِلِ ! إِنَّ الْمَطَالَعَةَ الدَّقِيقَةَ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَفِيدُ أَنَّ الْقُرْآنَ يَصِرُّ مُؤَكَّدًا بِأَنْ لَا يَضِيعُ النَّاسُ بَيْنَ الْوَسَائِلِ وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَى ذَاتِ الْقُدْسِ الْمَقْدَسَةِ مُبَاشَرَةً ،